كسور

كادت الحكّة تمزّق ظهري؛ حينما استيقظت هذا الصباح.. توجّهت إلى الحمام، لأغسل وجهي، وفتحت الصنبور، وأخذت قليلاً من الماء، وحاولت مسح وجهي به، لكنّني فشلت فالماء لا يصل إلى وجهي، تعجّبت وحاولت مرارًا، إلّا أنّني مع كلّ مرّة أجد وجهي جافًا، وكأنّما لم يمسسه الماء.

الوقت تأخّر، ويجب أن أذهب إلى العمل، سيؤنّبني رئيسي إذا تأخرت؛ خاصّة أنّني لم أنجز كلّ ما أوكله لي هو وزملائي من أعمال.

نعم فزملائي ينعتونني دائمًا «بحمار الشغل» الذي يعمل دون شكوى أو اعتراض، خوفي من المشاكل هو ما يجعلني أقبل ذلك.

تربيّت على هذا، فأنا لا أحبّ المشاكل، وقد أكون أخشاها قليلاً، فأنا ضعيف البنية هزيل القوام، أهرب دائمًا من كلّ شيء؛ يؤدي بي إلى الشجار مع أحدهم، ليس خوفًا على عمري؛ فأنا ليس لديّ ما أخاف منه وعليه أو مَن أخشاه، أعيش وحيدًا بعد أن رحل أبي وأمي، وهاجر بعض إخوتي، بينما سافر الباقون لدول الخليج بحثًا عن الرزق.

الموت نصٌّ مبهم ملغز، يعجزنا تفسيره على الرغم من رؤيتنا له وتكرار حدوثه.

نصّ غير قابل للقياس أو النّقد، هكذا كان يقول والدي، فقد كان بارعًا في النقد الأدبي وله بعض محاولات قصصية وروائية، لم تكتمل، لأنّه كان مشغولًا بكتابة أعمال أدبيّة لبعض الكتاب الكبار، التي كان يتقاضى عنها مبالغ من المال تساعده مع راتبه الهزيل لإعالتنا.

لم أحكم عليه يومًا، فربّما كانت أسبابه مقنعة، وربّما كانت ظروفه أكثر إقناعًا، عمومًا.. لم يشغلني الأمر كثيرًا.

ما يشغلني حقًّا أن أصل في الموعد، حتى لا أواجه بأي توبيخ أو تأنيب.

دائمًا كنت أذاكر دروسي جيدًا، وأقوم بعمل واجباتي كلّها، ليس حبًّا في المذاكرة؛ ولكن خوفًا من التأنيب والعقاب، وكذلك كنت أقوم بأعمال المنزل، وأساعد أمي وأبي لنفس السبب؛ إذ كان إخوتي يخوفونني به وأنا صغير؛ ليتنصّلوا من مساعدتي في أعمال المنزل، ويتوعدونني بالضرب لو لم أفعل.

تزداد الحكة في ظهري، وتزداد رغبتي في تقطيع لحمه، ما الذي أصابني؟ أمرض جلدي؟ من أين جاء؟ ما السبب فيه؟

أخشى الأمراض، المرض مؤلم، لذا أتجنّب مخالطة المرضى وأتهرّب من زيارتهم، الحمد لله أنّ أبي وأمي ماتا؛ من دون أن يمرضا، أو أي إشارة لاقتراب وفاتهما، بل سقطا ميتين من غير مقدّمات.. لو لم يحدث ذلك ماذا كنت سأفعل حينئذٍ؟

أخيرًا وصلت، أتصبّب عرقًا كالمحمومين، سيوبخني رئيسي على ملابسي الغارقة بالعرق، وهو ما لا يناسب المظهر المثالي لموظفي الشركة.

وصلت إلى مكتبي، وجلست لأجد زملائي الأعزاء يتوافدون واضعين ملفاتهم على مكتبي للقيام بأعمالهم كالمعتاد.

دخل الرئيس متجهم الوجه كالعادة، ولكن لا يهمني، فقد وصلت في الموعد، نظر لي باحتقار شديد كالمعتاد، ثم صرخ في وجهي مؤنّبا على عدم إنهائي الأعمال، ولتأخيري مصالح العمل.. الحكّة ازدادت، وتصدع ظهري، وتكسّرت عظامي، وأصبحت أسبح في عرقي.. مايزال المدير يصرخ، ويؤنّب دونما اعتبار لحالتي المزرية، أشعر بقميصي، يتمزّق من الخلف وكأن.. وكأن... لا أصدّق وكأن شيئا ينبت من ظهري.. ماذا يحدث لي، أود أن أصرخ، الألم فوق احتمالي، ولكنّني أخشى من رئيسي، فأكتم الألم، جاكت البدلة يتمزّق بفعل ما ينبت من ظهري، أهي حدبة؟ أيمكن

أن أصير أحمقًا كبطل قصة أحدب نوتردام، التي كان يرويها لنا والدي؟

كنت لا أقرأ، أخشى من القراءة، أخشى أن أعتنق أفكارًا، وأؤمن بها، وهي تخالف ما يؤمن به الكبار، فأدخل في نقاش أو مواجهة وأحصل على التأنيب مقابلاً لها.

الكبار يعرفون ما يفعلون.. هم على حقّ دائمًا.

فجأة هدأ الألم.. نظرت إلى وجه مديري وزملائي وجدتهم يصرخون ، ولكن هذه المرة من الخوف نظرت يمينًا ويسارًا؛ لأرى ما نبت من ظهري.

فإذا بها أجنحة!... أجنحة؟... هههههههه أجنحة نبتت لي أجنحة... لم أعد أسمع زملائي ولا رئيسي ولا أي صوت، وجدتّني أبتسم وأضحك، أنا سعيد لأول مرة، إنها السعادة بالتأكيد، فهو شعور لم أخبره من قبل.

تركتهم وتوجّهت إلى النافذة، ووقفت على حافّتها، وأنا مبتسم مستشعرا الهواء النقيّ، الذي يلفح وجهي فاردًا أجنحتي الكبيرة استعدادا للطيران.